بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 37 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:25\04\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال البحث الآية العاشرة في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾.

بحثنا سابقاً عن مفردات هذه الآية التي تحتاج إلى شرح وتفسير، ووصل الكلام إلى الحديث عن التفسير التركيبي لهذه الآية المباركة؛ وذلك ضمن نقاط ثلاث، وتقدم في البحث السابق الحديث عن النقطة الأولى.

النقطة الثانية: أن هذه الآية جعلت العبوس وصفاً لليوم ﴿يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ مع أن العبوس بأي معنى من المعاني الثلاثة المتقدمة فسرنا، هو وصف لذلك الإنسان الذي في يوم الجزاء للحساب والعقاب والمساءلة والإدانة، فليست وصفاً لليوم.

هنا من لطائف الأمور التي لا بأس بالإشارة إليها في المقام، وإن لم ترتبط بتفسير هذه الآية ارتباطاً وثيقاً، هو أنه في آية الوضوء، بما يرتبط بحكم الرجلين، الآية تقول: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[1] بناء على قراءة الجر في أرجلكم.

جملة من مفسري العامة حملوا الجر على أنه جر للمجاورة، وقديماً قيل: قد يأخذ الجار بجرم الجار؛ لكون الأرجل قد جاورت الرؤوس، والرؤوس مجرورة فأخذت حكمها، وإلا فهي في الواقع منصوبة.

فبهذه الدعوى وافقوا بين قراءة النصب وبين قراءة الجر، فعليه لا تكون قراءة الجر موافقة لمذهب الشيعة ولمذهب أهل البيت عليهم السلام؛ لأن الجر للمجاورة.

عندما يشكل عليهم بأن الجر للمجاورة ليس أمراً شائعاً، بل يعتبر من الأمور الشاذة، كما في قولهم: جحرُ ضبٍ خربٍ. وإن كانت ترد إشكالات متعددة منها أنه لا توجد مجاورة، ففي جحر ضبٍ خربٍ،

[1] المائدة: 6

فبين خرب وضب لا يوجد بينهما فاصل، وتوجد مجاورة. أما برؤوسكم وأرجلكم يوجد فاصل وهو الضمير وحرف العطف. وأنه في جر المجاورة يصح عندما يؤمن اللبس، كما في جحر ضب خرب، خرب واضح من ناحية المعنى، وهو أن الجحر هو الذي يتصف بالخراب لا الحيوان، فلا يوجد التباس. أما فيما نحن فيه فيؤدي إلى الالتباس. هذا كله دعوى.

فعندما يشكل عليهم بأن الجر بالمجاورة شاذ ونادر لا يحمل عليه القرآن الكريم، يقولون: يوجد في القرآن كثير من الموارد، آيات متعددة كـ ﴿عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2] أو ﴿أَلِيمٍ﴾[3] أو ﴿مُحِيطٍ﴾[4] من هذا القبيل، عذاب يومٍ أصلها أن نقول إذا كانت عذاب مرفوعة نقول محيطٌ، وإذا كانت عذاب منصوبة نقول محيطاً، لكن لكونها جاورت المضاف إليه جرت مثله، وهكذا الحال في كل الآيات التي بهذا السياق. إذاً الجر بالمجاورة كثير. هذا ذكروه في تفسير آية الوضوء.

كل هؤلاء الذين ذكروا هذا المطلب في تفسير آية الوضوء، عندما يأتون إلى تفسير هذه الآيات على نحو الحقيقة -وليس مبالغة- تمام هؤلاء في تفسير هذه الآيات لا يذكرون -ولو على سبيل الاحتمال- الجر بالمجاورة فيها.

فعندما يكون النقاش مع الشيعة يتمسكون بالجر بالمجاورة، هناك ينسون، على نحو الاستقلال يريدون أن يفسروا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[5] لا يوجد مفسر على الإطلاق يكون محيط مجرورة للمجاورة، نسوا ما ذكروه في آية الوضوء، فأنتم تقولون في آية الوضوء الجر بالمجاورة في القرآن كثير، ومنه هذه الآية، عندما يأتون إلى هذه الآية فلا يوجد أحد يذكر كاحتمال -وليس كقول- فلا أحد يذكره.

بل يحملون هذه الآيات على الإسناد المجازي، أن الأليم والمحيط هي في الواقع ينبغي أن تسند ويتصف بها العذاب، لكن لأجل المبالغة جُعل الإحاطة والألم وصفاً لليوم نفسه، الذي هذا يعطي نوع من المبالغة وتهويل لهذا العذاب.

---

[2] الأنعام: 15
[3] هود: 26
[4] هود: 84
[5] هود 84

في هذه الآية المباركة التي نبحث عنها الأمر من هذا القبيل، فالأمر سهل.

﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً﴾ العبوس الذي هو ظهور أمارات الشدة والخوف والتعب والتحمل على الإنسان، أعطاه لليوم، لشدة هول ذلك اليوم صار كأنه هو العبوس، وهذا هو الشائع في كلمات العرب، على طريقة قولهم: نهاره صائم وليله قائم. وقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ﴾[6] الليل ليس هو الذي يمكر، بل الإنسان هو الذي يمكر، ففي هذا نوع من الإسناد المجازي[7].

النقطة الثالثة: هناك أمر لفت نظر المفسرين، أنه في هذه الآية المباركة ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً﴾ بينما في الآية السابعة من السورة ذاتها التي تقدمت جاء فيها: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً﴾ هنا نخاف من ربنا، وهناك يخافون يوماً.

في مقام المقارنة بين هذين الأمرين نستكشف نكتتين:

النكتة الأولى: أن في الآية السابقة الحديث عن النذر، وفي هذه الآية الحديث عن الإطعام، فهناك فرق بين النذر والإطعام، النذر بطبعه وأصله هو طاعة، الإطعام ليس كذلك، الإطعام يصبح طاعة بالنية، أما النذر هو في حد ذاته "لله عليّ" هو في حد ذاته طاعة، بينما الإطعام في حد ذاته ليس طاعة، فلما كان النذر في حد ذاته طاعة لم نحتج في تلك الآية أن نقول لوجه الله؛ لأن النذر لا يكون نذراً إلا إذا كان لله، بينما الإطعام لا يكون طاعة إلا إذا كان لوجه الله.

لا ففي هذه الآية الثانية ذكرت ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ هذا أولاً، وذكرت ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾.

أما في النذر، فقد ذكر الخوف؛ لأن النذر في حد ذاته هو لله، فلا يحتاج إلى أن يقول نفي بالنذر لوجه الله، وإلا لا يكون حينئذ نذراً.

النكتة الثانية: أن المتكلم في الآية السابقة هو الله تبارك وتعالى، يتحدث عن طائفة الأبرار، ويقول: هؤلاء من خصائصهم يوفون بالنذر.

---

[6] سبأ: 33

[7] وهذا على الخلاف البلاغي الموجود، أن هذا إسناد مجازي أو هو إسناد حقيقي لكن على سبيل الاستعارة التخييلية، وهذا لا يؤثر في أصل المطلب، من أنه فيه نوع من المبالغة للتهويل على السامع..

في هذه الآية هؤلاء الأبرار هم الذين يتكلمون ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ هؤلاء الذين يطعمون لوجه الله -كما ذكرنا سابقاً- بحيث وصلوا إلى قمة الإخلاص والخلوص، بحيث لا يرون شيئاً إلا الله، حتى في خوفهم يخافون من الله، فقالت الآية: ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا﴾.

أما في الآية السابقة ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيرا﴾ الأمر ليس من هذا القبيل؛ لأن حتى هؤلاء الأبرار على مراتب، وهذا ما يؤكد تفسير أهل البيت عليهم السلام أن هؤلاء الذين انطبق عليهم عنوان الأبرار انطبق عليهم بعنوانهم الأكمل، أي هم أرفع طبقة من طبقات الأبرار، الذين قاموا بهذا الفعل -أصحاب الكساء عليهم السلام- أرفع طبقة من طبقات الأبرار؛ لخوصهم وذوبانهم في الله سبحانه وتعالى، فلا يرون شيئاً إلا الله، فإن خافوا لا يخافون من ذلك اليوم، وإنما يخافون من ربهم في ذلك اليوم، فهذه مرتبة عليا من مراتب الأبرار.